طريق العودة

مسرحية واقعية بمشهدين

بقلم : خليل هنداوي

[الى الذين يحاولون ان يعودوا مرة ثانية]

الأشخاص :

الأم وابنتها سلوى

طبيب الملجأ

أصوات ثانوية متداخلة

●

— ١ —

في زاوية منعزلة من زوايا الملجأ الرحيب كوخ حقير ليس فيه إلا ام وفتاة مسلولة طالت بها أيام علتها ... وهي بقية أسرة كانت قوية، غنية من فلسطين —الفردوس المفقود— فقدت الوالد ، والشقيق ، والقريب ، والارض ، والبيت . فيها الآن لاجئتان منسيتان .

(الوقت ليل)

سلوى — (بسعال ابح) أماه ! كأن شبحاً يطيف بأطراف الملجأ ، أماه ! إني أراه . إني أسمع خطاه .

الأم — كفى يا سلوى ! إنك غريبة النفس هذه الليلة ، من اين تأتي الأشباح ، وقد تركناها في ارض الدماء ؟

سلوى — إذاً ، ما هـذا الذي أرى ؟ ألا تبرز الأشباح الا في أرض الدم ؟

الأم — نامي! لقد مرّت عليّ ليال دون ان اذوق النوم بجانبك.

سلوى — حقاً ، .. لم يترك لي المرض سبيلاً الى النوم والراحة.

الأم — هل تشكين شيئاً الآن ؟

سلوى — هذا السعال الذي يجرح صدري . كأن عـلى رئتيّ شوكاً مسنوناً . (سعال) الشمعة ،.! أضيئي المكان! الظلام يروّعني .. لا ادري لماذا يخيفني الظلام .

الأم — (تضيء الشمعة) ماذا تجدين ؟

سلوى — الدم دائماً على منديلي..قربي النور ! ما للشمعة ترتجف!

الام — لا خوف عليك ..

سلوى — لست بخائفة على نفسي . ولكن أنبئيني هل نعود ؟

الام — سنعود من كل بد ..

سلوى — أقريباً ؟

الام — قد يكون موعدنا غداً ، أو بعد غد ، أو بعده .

سلوى — ما أقرب ميعادنا ! ولكن كم طال هذا الميعاد! الى متى تنتظر ؟ مع أية كتيبة ندخل ؟

الام — لن يكون لنا مستقر في أية أرض حتى نعود . وهذه الخيام الهزيلة توحي الينا بأننا سنعود !

سلوى — أجل سنعود . ربما نرى طريق العودة بأعيننا.

الام — بل نطأه بأرجلنا !

سلوى — ذلك الامل وحده يدعوني الى التشبث بالحياة بينما أراها تهرب مني مسرعة . هل يغلبني الموت ؟

الام — لن تموتي قبل ان تعودي ، وترى أرضك الهاربة .

سلوى — كل شيء يهرب مني حتى أنفاسي . (سعال)

الام — الدواء !

سلوى — لقد مللت الدواء . (تشرب منه)

الام — نامي قليلاً ! سأطفىء الشمعة .

سلوى — سأحاول ان اغمض عيني .. انني لا ارى شيئاً .

(صمت . بينما الام تطفىء الشمعة ، تهب سلوى مذعورة) .

الشبح نفسه .. شبح أخي مسربلاً بسلاحه .

الام — آه يا سلوى ! ما اكثر هذيانك هذه الليلة ! كأنك تريدين الأنام . فأيُّ شبح هذا ؟ كيف يطرقنـا شبح اخيك وهو لا يزال يقاتل ؟

سلوى — حقاً انه لا يزال يقاتل . هل تذكرين الليلة الاخيرة التي ودعنا فيها ؟ ثم لم نعد نراه ...

الام — وكيف انسى تلك الليلة الاخيرة التي لم ينقطع فيها الرصاص ؟

سلوى — لقد استطاع المجاهدون ان يردّوا اليهود على اعقابهم .

الام — ولكنه لم يعد كما وعدنا .

سلوى — لا شك اننا لم نحسن ميعاد تلاقينا . فهو على طريق ، ونحن رحنا على طريق .

الام — شأن اللاجئين واللاجئات . هل يمكننا ان نتلاقى ؟

سلوى — على منعطف طريق القرية شاهدنا مجاهدين يرفعون جثة مشوّهة .

الام — أتلك التي بتر اليهود اعضاءها ، ومثّلوا بها ؟

سلوى — انهم لم يعرفوا صاحبها ، لكنه ، وحده ، ردّ جمعـاً يهودياً عن القرية . انهم لم يقتلوه الا بعد نفاد ذخيرته .

الام — وحين رأوه وحده تكالبوا عليه .

سلوى — كانوا يظنون انهم امام كتيبة تشغل مسالك الوادي..

لكنه كان وحده يتنقل من صخرة الى صخرة ليوهم الاعداء بالكثرة . يا لخيبة الامـــل ! إنهم كانوا امام رجل واحد .

الام – لذلك شوّهوه ، وقطعوة تشفياً .

سلوى – ومع ذلك ، لم يعرفه حتى رفاقه .

الام – كثيرون من الابطال ماتوا دون ان يُعرفوا .

سلوى – لقد توسمت وجهه ، ليس فيه ما يدل على ان له وجهاً .

الام – واخيراً لفوه بثوبه ليدفنوه .

سلوى – في تلك اللحظة وقعت عيني على مزقة من قميصه المخطط .. انه اخي ! (مجهشة بالبكاء) .

الام – عرفته إذاً مثلي ! أتظنين اني لم اعرفه حين شاهدته ؟ إن ريحه كانت تملأ المـــكان ، ولكني خشيت عليك الصدمة .

سلوى – كما خشيتها انا عليكِ . (باكية)

الام – كفّي البكاء ! لا شيء يحرق المجاهد كالدموع .

سلوى – ذلك هو الشبح الذي لا يزال يطرقني .

الام – انه لا يطرقك وحده . يقول رفاقه عنه إنهم دفنـوه ، ولكنهم لا يعتقدون بانه ميت . لا يزال طائفـه حياً على الربوة . واليهود لا يستطيعون العبور منفردين بدون سلاح . إنه حي دائماً ، يحسبون ان سينقض عليهم كل لحظة .

سلوى – بل ان شبحه يطوف في كل مكان ، كما اراه عن يميني .. عن شمالي ، حيثما التفتُّ . كأني واياه على ميعاد .

الام – هذا الشبح يُطيف بكل بيت ، ويهيب بكل عربي .. إنه شبح العودة .

سلوى – أماه ! انه هناك يرمقني !

الام – هو الفجر .. لن يعود الشبح بعد الفجر .. نامي اذاً ! عند الفجر تنام الاشباح وتطمئن في مراقدها .

— ٢ —

مرت ايام عليها ، وحالة الفتاة لا تزداد إلا سوءاً ، فباتت لا يأتيها النوم في الليل والنهار . اما الام فقد اخذها اشفاق غريب على ابنتها يوحي اليها بان تضع حداً لهذه الحياة المتألمة . ففي صباح يوم ، وقد استغرقت الفتـــاة في نوم عميق .

الام – أفّ لهذه الشمس التي لا نجد ستارةً تمنعها . لقـــد هتكت الأستار والستائر . انها لا تزال نائمة ..

(قرع على الباب)

لعله طبيب الملجأ ! هذا يومه .. من ؟

الطبيب – كيف حال سلوى ؟ هل تنام نوماً مطمئناً ؟

الام – انها لا تنام إلا بعد ان يعجز منها النوم . لقد نفثت الليلة دماً نقياً .

الطبيب – لعلها نائمة .

الام – كما تراها . حمرة متوهجة في خدّيها . وشحـوب في في بقية اعضائها ، وذبحة في صدرها .

الطبيب – الدواء .. هل تثابر عليه ؟

الام – دون ان يُغيّر لها حالاً . لعلنا نخدعها ونخدع انفسنا ونزيد في تعذيبها . والآن ، هل – هنالك – امل في شفائها ؟ بربك اصدقني ! انها لا تسمع .

الطبيب – ان من حقي كانسان ان اقول : لا .. وكطبيب : لننتظر !

الام – ما أصدقك كانسان !

(يذهب الطبيب)

ويحَ نفسي ! الى متى اتركها تنتظر ؟ لأي امـــل تحيا ؟ إنها تتعذب . لقد عرفتُ مصرَع اخيها كما عرفتُ مصرع ابيها من قبل . لم يبقَ لها جذور حيـــة في الحيـــاة . هي توهمني ، وانا اوهمها . فيا لَلبطولة الجريح ! انها تحيا لأنها تريد العودة الى ارض الميعاد ، الى تلك السهول الحالمـــة ، الى وطنها المغصوب . والآن ، لماذا تريد الحياة ؟ ان حياتها ان تموت . ألا يحقُّ لي ان أُخفف عنها بتعجيل الموت لها ؟

سلوى – أماه ! يا لَلحُلم الجميل ! لماذا أيقظني صوتكِ ؟ لأول مرة يسالمني الشبح المخيف . رأيته على الربوة نفسها بسلاحه نفسه يفتـح لي الطريق .. طريق العـودة ، وهو يبتسم . لقد رأيت مرابعنا الخضر .. سـهولنا الحالمة مخضبةً بالدماء . (سعال متقطع)

الام – اشربي الدواء قبل اشتداد نوبة السعال .

سلوى – صدري يكاد يتمزق .. أسفاه ! ان صدري هو الذي يتخضب دماً .. الدواءَ ! (تشرب منه) إن له اليوم طعماً غريباً ، إنه يُلهب فمي .. حلقي .. جوفي ..

الام – لكنه دواء جديد أعدّه الطبيب لكِ ..

سلوى – هل يضمن لي الحياة ؟

الام – اشربي ! اشربيه كله !

سلوى – سأشربه ، لأنني أريد ان أحيا ، اريد ان اعود ثانية

الام – القطرة الاخيرة ايضاً !

سلوى – كأنها آلامي كلُّها سكنت . أي علاج سحري هذا لكن عينيّ تتثاقلان . ما للنور يمشي عليهما باهتاً ! كأن ما حولي اشباح ترقص . أهذه علامة الحياة ؟ أمسيتُ لا ارى إلا طريق العـــودة . أراه – كما خلمتُ به الليلةَ – وذلك الشبح يناديني ضاحكا .. سأتبعه الى تلك الأرض .. أين انت يا اماه ؟ تعالي معي ! ليتك تنظرين الآن ما انظر ! مرابع فلسطين الخضراء .. سهولها الحالمـــة ، وامواجها الزرقاء ، والمقاتلة الذين عادوا الى الحياة ..

إنني وصلتُ .. وصلتُ الى ارضنا !

(تموت الفتاة والام في نشيج وبكاء)

الام – ربّاه ! ماذا جنيتُ عليها ؟ أعطيتها السُّم بيدي ... هل ماتت حقاً ؟ ماذا صنعتُ ؟ لماذا لم أتركها بجانبي حتى تعود كما اعود ؟ لكنها عادت قبلي .. يا للعين التي لا تزال تلتمع !

ماتت سلوى .. لم تمت .. لكنها عادت حيـــة .. سلوى ! سلوى !

(تخرج هائمة على وجهها كمجنونة ، وهي تردد اسم ابنتها)

من اهل الملجأ – : لعل ابنتها الجميلة ماتت .

: ان عليها ظواهر الجنون .

: لا لوم عليها . لقد فقدت اعز شيء في الحياة .

: انها لا تقف . فالى اين تعدو ؟

: لعلها مجنونة ..

: أليس الجنون احياناً خيراً من العقل ؟

: امسكوا عليها طريقها ! الى اين ؟ الى اين ؟

الام – ويح لكم ! الملجأ كله يتحرك ، يريد العودة . الى متى تظلون ضيوف الملاجىء ؟ سأعود وحدي إن لم تعودوا انتم . لقد عادت سلوى . لا بد لي من العودة وإن لم اصل .

ان من يريد طريق العودة فليتبعني !.

خليل الهنداوي

« حقوق الاذاعة محفوظة للمؤلف »

مسابقة « الآداب » للقصة

•

كانت « الآداب » قد اعلنت في اعداد سابقة عن اقامة مسابقة للقصة يحق لجميع ادباء البلاد العربية ان يشتركوا فيها، وقد كان مقرراً ان ينتهي اجـــل قبول القصص في اول الشهر الماضي آب (اغسطس) من العام الحالي .

ولكن ظهر لهيئة التحرير ان عـدد القصص التي وردت المجلة حتى الآن اقل بكثير مما كان منتظراً ، ولذلك رأت «الآداب» ان تمدد اجل المسابقة حتى آخر تشرين الاول من العام الحالي ، على ان تنشر القصص الفائزة في العـدد الثالث عشر وهو العدد الضخم الذي ستصدره « الآداب » خاصاً بالقصة في مطلع العام القادم (كانون الثاني ١٩٥٤) .

وعلى ذلك تمدد «الآداب» أجل مسابقة القصـة حتى آخر تشرين الاول القادم بالشروط نفسها وهي :

١ – ان تكون القصة موضوعة غير مترجمـــة ولا مقتبسة ولا منشورة .

٢ – ان تعالج موضوعاً يهم الجماعات العربية او الفرد العربي .

٣ – ان تكتب كلها باللغة العربية الفصحى .

٤ – ألا تتجاوز ثماني صفحات من «الآداب» .

اما الجوائز فثلاث :

الاولى : ٣٠٠ ليرة لبنانية او ما يعادلها

الثانية : ١٥٠ 〃 〃 〃 〃

الثالثة : ٥٠ 〃 〃 〃 〃

وستتألف لجنة محكمة تعلن اسماء اعضائها فيما بعد .